قراءة في كتاب

الجواهر الفريدة من مناهل الأدب العربي

د. **محمد ريحان الندوي** *
Email: raihan.amu@gmail.com

هذه مجموعة مشتملة على المختارات الفريدة والأخبار النادرة والحكايات الممتعة من أمهات الكتب الأدبية العربية. قد جمعها ورتّبها وعلّق عليها الدكتور محمد سليم. وهو أستاذ مساعد في جامعة إنديرا غاندي الوطنية المفتوحة بنيو دلهي. كما هو رئيس البرنامج العربي في نفس الجامعة. إنه سافر إلى دلهي بعد إكمال التعليم الثانوي واستقى مزيدا من العلم والفضل من جامعة جواهر لال نهرو، بنيو دلهي، حيث نال شهادة الدكتوراه في الأدب العربي.

اسم الكتاب: الجواهر الفريدة من مناهل الأدب العربي
اسم المؤلف: الدكتور محمد سليم
الناشر: روز ورد بوكس نيو دلهي، الهند
الطبعة الأولى: 2018م
عدد الصفحات: 174
ثمن النسخة: 200 روبية هندية

هذا الكتاب زبدة الكتب الأدبية المرجعية. لا يستفيد الطلاب والباحثون في عصرنا هذا من الكتب المرجعية الأدبية إما بسبب عدم توافرها في المكتبات أو بقلة رغبتهم في الأدب القديم، مع أنه هو المنهل الصافي المعين الذي يتولد منه الأدب الحديث. "يقال إن اللغة العربية قد تطورت ودخلت فيها الألفاظ والتعبيرات والأساليب الأجنبية وهي الآن تساير الزمان، فلماذا نركز على الكتب العربية التي ألفت قبل ألف عام أو أكثر، والجواب هو أن الجديد لم يخرج إلا من بطن القديم. هل أتى على الإنسان حين من الزمان أصبح فيه منقطعا عن تجارب الماضي. أليس كل من يدعى العلم والفضل قد نهل من تلك المناهل العذبة الصافية النميرة حتى ارتوى وبدأت في نفسه تموج المعاني والأساليب الجديدة بفضلها" (ص:6). فهذا سعي حثيث وبذل مشكور في إيقاظ الوعي والشعور بأن نستفيد من جديد من أدبنا القديم.

* باحث هندي.

حينما تطالع هذا الكتاب تبكي وتفرح، وتحزن وتمرح، وتتحير وتقلق بما فيه من حكايات نادرة ونكت فريدة وقصص عجيبة، وتعلم مما لا تعرف في باب السيادة والاقتصاد والعلم والفن والأدب، وتستفيد من آراء الحكماء والعلماء، وتعرف معنى الفصاحة والبلاغة، والشعر والأدب. تشارك مجالس الشعراء والأدباء وترافق محافل الزهاد والنساك، وتصاحب عيش الأعرابي والبدو. كما تدري كيف كان العرب يتحاكمون ويتشاورون ويتحابون ويتعاملون فيما بينهم. وتعرف حقيقة العلم والمال والجاه لدى العرب، فهذه المجموعة تحتوي على هذه الجواهر الفريدة واللآلي الأنيقة التي تعطيك صورة حقيقية للعرب الأقحاح.

يقول المؤلف "حاولت أن أقدم إلى إخواننا الهنود مختارات من أروع ما قرأت في أمهات الكتب الأدبية العربية ليكونوا واقفين على فنون القول وألوان البيان ومنابع الحكمة. وقد تناولت بشرح الغامض من الألفاظ والجمل والتعليق على بعض النصوص، وأرجو أن تفتح هذه القطعات الأدبية بابا واسعا للدخول في بساتين الأدب والفكر العربي".

ها هي بعض النماذج من هذه المجموعة من التعليقات والمعلومات وحل الكلمات الصعبة. لو ذكر الأديب في هذه الكتب الأدبية الشاعر أو الأديب بالكنية أو اللقب فإن المؤلف يذكر الاسم المعروف الحقيقي مع ذكر اشتغاله وسنة وفاته "عبد الله بن جعفر: صحابي معروف، ولقب ببحر الجود لكرمه، توفي سنة 80هـ "(ص:70). ففي بعض الأحيان يذكر المؤلف الاسم الحقيقي ولقبه وأسرته وكنيته ومهنته وحكايته، ويترك ذكر سنة وفاته أحيانا مع ذكر المرجع الأصلي للمراجعة والاستفادة، وإنه لا يذكر سنة ولادة الشاعر أو الأديب، ويكتفي بذكر سنة وفاته فقط "أبو حازم بن دينار: هو سلمة بن دينار المخزومي بالولاء، أبو حازم، عالم المدينة وقاضيها وشيخها، فارسي الأصل، كان زاهدا عابدا، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه فقال: إذا كانت له حاجة فليأت، فأما أنا فما لي إليه حاجة. أنظر بهجة المجالس وأنس المجالس، الجزء الثاني". كما يذكر المؤلف معنى الكلمات الصعبة في حاشية النص مثلا: الصنيعة: كل ما عمل من خير أو إحسان جمع صنائع، (ص:131)، منقوص البيان: عاجز عن البيان غير قادر عليه، (91)، أسبل الشيء: أرسله وأرخاه يقال أسبل الثوب وأسبل

الستر، (ص:82)، هش يهش هشاشة وهشوشا العودة: صار هشا أي سريع الكسر والشيء: لان واسترخى فهو هش،(58) وغير ذلك من الكلمات التي يكتب المؤلف معناها في الحواشي.

وأما ما يتعلق بذكر النماذج من الكتاب ففي هذا الصدد يختار المؤلف قطعة أدبية من أمهات الكتب فيعنون عنوانا شيقا ويختار أحيانا قطعات كبيرة. وفي معظم الأحيان يختار قطعة وجيزة في سطرين أو ثلاثة أسطر. يذكر قول رسول الله (ص) تحت عنوان "من آداب الطعام" مستفيدا من كتاب لباب الآداب لابن منقذ "عن بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا وضعت المائدة فليأكل الرجل مما يليه، ولا يرفع يديه وإن شبع، وليعذر فإن ذلك يخجل جليسه" (ص: 99).

"نعمة الدنيا" عنوان جذاب يطالع المؤلف هذه القطعة الأدبية من الكتاب "الكامل للمبرد" فيضع لنا هذا اللؤلؤ القيم فيقول: "وقيل لحزيم ما النعمة؟ فقال: الأمن، فإنه ليس للخائف عيش، والغنى، فإنه ليس للفقير عيش، والصحة، فإنه ليس لسقيم عيش، قيل ثم ماذا؟ قال: لا مزيد بعد هذا" (ص: 60).

يستفيد المؤلف من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ويروي لنا هذه النصيحة الغالية تحت عنوان "نموذج من الفكر الهندي" فيذكر" وجاء في كتاب من كتب الهند: "شر المال ما لا ينفق منه وشر الإخوان الخاذل، وشر السلطان من خافه البريء، وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن" (ص:48).

لو قسم المؤلف هذا الكتاب إلى أبواب وفصول مثلا باب القصة والحكاية أو باب العلم والفضل، والشعر، والفكاهة، والحكمة وما إليها، وكذلك لو فسّر مزيدا من الكلمات الصعبة لكان الكتاب أكثر قيمة، وأجود هدية للمبتدئين والمتوسطين من الطلاب الجامعية والمدرسية. كما نجد فيه أخطاءً إملائيةً ومطبعيةً، وأرجو إزالتها في الطبعة القادمة.

وفي الأخير فهذا كتاب نافع ومختار نادر سيستفيد منه طلاب وباحثون، ويستمتعون بمعان الجياد والألفاظ الحسان والنكت النوادر والمثل السائرة، فهذا المؤلف يؤنسك في الوحشة ويجالسك في الخلوة ويرشدك في الضلالة ويهديك من عسر إلى يسر ومن لهو إلى عظة ومن ضحك إلى تذكير ومن جد إلى هزل وعكسها.